وأخرجه من حيرته ، صوت البيه المأمور يصرخ فيه مرة أخرى بالسؤال :

ـ أنت اللى كل يوم تقول « فرجه قريب »؟!.

وامتقع وجه الحاج محمود عند سماعه لسؤال المأمور ، فمن الذى أبلغه بهذا العمل الذى يعتبر سلوكا خاصا للحاج ؟ ثم ما هى عواقب مثل هذا العمل ؟ وهل الابتهال الى الله جريمة ؟ وعندما أعاد المأمور سؤاله ، سارع الحاج بالرد ، فقد كانت لهجة المأمور جافة وجادة .

ـ أنا باذكر الله يا بيه .

وقال المأمور وهو يعنف الحاج :.

ـ ابقى أذكر الله فى سرك .

انزوى الحاج محمود بعد ذلك فى زنزانته ، يراقب أحوال السجن والمساجين . وتركزت كل غرائز التاجر فى الحاج ، فاكتشف ان التجارة فى السجن أربح منها فى الخارج . فهنا لا ايجار ولا ضرائب ولا مصاريف مياه وكهرباء ، صندوق السجاير الذى يباع بربع جنيه فى الخارج يباع فى السجن بضعف ثمنه . السجاير هى عملة السجن وهى اربح تجارة . وللحاج محمود قيود فى مسألة السجاير ، وهو فى البداية امتنع عن شراء أى سجاير من الكانتين أو استلام أى سجاير من الخارج ، والسبب انه لا يدخن . ولكن ما أعظمها الآن من فرصة ، اذا اغتنمها الحاج فاز من السجن بغنيمة لا يستطيع الحصول عليها فى الخارج !

ولم يضع الحاج محمود وقتا ، أرسل الى زوجته خطابا يوصيها بأن ترسل له كميات كبيرة من السجاير ، وظنت المرأة الطيبة المدبرة أن فى الأمر خطأ ما . ولذلك لم تحضر معها أى سجاير عندما جاءت لزيارته .

ولكن عندما شرح لها الحاج محمود تفاصيل مشروعه الجديد . رحبت على الفور ، وسرعان ما تكدست زنزانته بصناديق سجاير من كل الأنواع ، وجذب الزحام الشديد على زنزانة الحاج نظر الشاويش . ولكن الحاج المدرب استطاع أن يملأ فم الشاويش وان يسكته أيضا .

اثار الحاج محمود حسد التجار الآخرين فى السجن وكان عليه أن يدخل سلسلة معارك طويلة ضد الذين احتكروا التجارة فى السجن منذ أمد طويل ، ودخل الحاج محمود معركة وأخرى ، ولكنه اكتشف ان الطريق طويل ، وانه لا محالة هالك فى النهاية ، فاثر الانسحاب من المنافسة